لماذا .. "المتنبي"؟..

بدءاً..

يجب أن نجاري - في هذا المضمار - الذائقة العامة لنصنّف الشاعر، من خلال تواجد شعره، سواءً للاستشهاد من نظمه بكل عارض[1]..، أو للتطرب به والتغني منه والتمثيل له..

عندئذٍ يكون - هذا - الشاهد /الحي/ والصادق.. لدعم هذا التقييم، بل والمُصادق عليه بتلقائية.. أو حتى بعفوية.

و لم يكن تمييزي لهذا الفحل من الشعراء - عاطفياً.. أو - عشوائياً![2]

فيعلم الله أنني ما حسبت هذا الصدى البعيد الذي أوجده "شعره" في نفسي.[3]

---

[1] راجع.. - مثلاً - كتابي "ديوان البيان" لتجد أحلى دليل.. على شواهد الاستشهاد.

[2] ويقول محمد كمال حلمي بك (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) عن المتنبي: كانت طريقته في التأليف أحبولة يتصيد بها المُطّلع على شعره فيكتسبه لنفسه، يورد عليه ما يعرف وما يحب وما يطلب، فمثله في ذلك كمثل التاجر الكيّس يجتهد في أن يبيع الناس ما يريدون، فتحبَّب إليهم في هذا الباب إذا أعطاهم ما يشتهون لأنه في شعره ربما كان يعمل لنفسه ليرضيها فأرضى نفوسهم تبعاً.

[3] ولست بدعاً في ذلك، أتى الواحدي - ت ٤٦٨هـ- صاحب الشرح المشهور، بعد قرن من وفاة الشاعر ليقول:

"إن الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميع الأشعار صفحة الإعراض، مقتصرين منها على شعر أبي الطيب، ناسين ما يروى.. لسواه."

ولما صنّف أبو العلاء المعري كتاب اللامع للعزيزي في شرح شعر المتنبي وقُرئ عليه أخذ -...

قال الحطيئة:

وتعذلـــني أبنـــاء ســـعد عليهـــم وما قلت إلا بالذي علمت سعد

فقد قلبت وتقلّبت بين الشعراء ودواوينهم، فما وجدت - على الرغم من قلّة جُهدي بذلك - ما يصادف ذاتي، ويحرّك وجداني الداخلي قدر "شعره"

يـا شـــاعراً هـــزّ الفـــؤاد بنبضـــه فتحرّكـــت في داخلـــي الأوتـــار

..والذي رسم خطا "المجد" - ليصل إلى بؤرة الفؤاد، حتى حدانـي أن.. أتصرّف ببيته المعروف.. بـ/

إن أكـن معجباً.. فعجـب عجيـب لم يجـد فـوق شـعرهِ مـن مزيـد-

هذا هو الفارس "الضّال" عن ميدان الفروسية، والذي حملت نفسه الاعتزاز والافتخار مع الضعة بالمجد الموروث، والاهتزاز بصحة النسب - أو تواضعه-، إلا أنه لم يُقم لهذين العاملين /رغم مكانتهما/ وزناً ولو على الأقل يوازيهما:

لا بقومي شرفتُ بـل شَـرفوا بـي ..وبنفسي فخـرتُ،.. لا بجـدودي

...-

الجماعة في وصفه فقال أبو العلاء -وكان أعمى- رحم الله المتنبي!! كأنما نظر إليّ بلحظ الغيب حيث يقول:

كأنمـــا نظـــر الأعمـــى إلى أدبـــي وأسمعـــت كلمـــاتي مـــن بـــه صمـــم

ومعروف مبتدا البيت.. بـ : "أنا" الذي نظر الأعمى...إلخ.

أبو "مُحسِّد" أحاطت به التجارب من كل جانب، وشغلته المعتزمات الجسام، وحطمته الأحداث العظام[1]..

أذاقني زمني بلوى شرقت[2] بها لو ذاقها غيري لبكى ما عاش وانتحبا

وُلد للنضال والتعالي.. الذي صحبه في مجريات حياته:

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء أنا ابن الضراب انا ابن الطعان

يُسابق سيفي منايا العباد إليهم كأنهما في رهان

ساجعله حكماً في النفوس ولو ناب عنه "لساني" كفاني

.. ونافح إثر مُبتغاه.. "الذي جلّ أن يُسمى" بعزيمة.. وثباتٍ كالجبال الرواسي، حتى عبّر عن ذلك:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاءٍ.. من نبالِ

فصرت إذا أصابتني سهامٌ تكسرت النصالُ.. على النصالِ

---

[1] وعرّف به الأديب الشيخ (د. عائض القرني) - كتابه / وحي الذاكرة -:

هذا شاعرٌ عضّته الأزمان، ولسعته النكبات ومزّقت فؤاده الكوارث.. يسكت يسكت ثم يزمجر ناقماً على زمانه وإخوانه، يصمت يصمت ثم ينفجر صائحاً.. يشكو عصره، ويلوم دهره. يهدأ يهدأ ثم يهبُّ من غفوته.. متمرّداً رافضاً.. محتجاً..!

[2] أي: غصصت بها - قال ابن زيدون:

غاض العدا من تسامينا الهوى، فدعوا بأن نغصّ.. فقال الدهر: آمينا